



**Ibda' Adabiy fi Tarjamati Luthfi al-Manfaluthi Kitab "as-Sya'ir"  
Namudzajan**

**Mohamed Sulthan Mohamed Saleem**

*Department of Arabic and Islamic Studies  
University of Peradeniya, Sri Langka*

**Article History:**

Received : December 14, 2020

Revised : December 25, 2020

Accepted : December 25, 2020

Published : December 25, 2020

**Keywords:**

*Attractive poetic emotions,  
Narrative template,  
Representative template*

**\*Correspondence Address:**

[msaleem@pdn.ac.lk](mailto:msaleem@pdn.ac.lk)

**Abstract:** *The translation is an important matter in cross-fertilization between peoples, cultures, and societies, and it is the most important means for foreign civilization learning. The translation aims at the intellectual, scientific, and cultural activity. If we briefly mention that translation is an integral part of development in general, by mediating between self-development that enriches identity with the creativity of others while protecting it from emotional reception thanks to the protective mediation. The book that we will analyze is the poet's book and Al-Manfaluthi has little poetry, as well as written for school students and collected information on Al-Manfaluthi Anthology. This research aims to find literary creativity in translating the poet's book. This research results that literary creativity in translating the poet's book was found by it is meanings with his taste and starts with words on the correct analogy, its ease and soundness from strangeness, ambiguity in composition, verbal or moral complexity, and the integrity of the composition abounds throughout the length of the book. Al-Manfaluthi created this novel from the representative template to the narrative template, in the style of the poet and his attractive poetic emotions so that the reader could enjoy the pages.*

## أ. المقدمة

ولد المنفلوطي بمنفلوط من أعمال محافظة أسيوط سنة ١٨٧٦م، ونجح المنفلوطي إثر آبائه في الثقافة والأدب والإخلاص. ومؤلفات المنفلوطي خير شاهد على بيته الكريم المتدين المتفقه المثقف، وكذلك يصدق مؤلفاته ومكتوباته ثقافته العلمية المنهلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسير الصحابة، ووصايا أصفياء المختارين، وما حفظه من الأشعار العربية ونصائح وإرشادات العمالقة المفكرين الإسلاميين والمجددين كالإمام محمد عبده وأمثاله من فحول الدعاة الذين أنجبتهم المراكز الإسلامية. وهذه البيئة العلمية لم يحرم المنفلوطي من أن تثقفه وتربيته شخصية عظيمة، ورصدته أيضا الصحف والمجلات والجرائد بقبول مقالاته ووسعت له ميدانا واسعا حتى رباه شخصية عظيم الشأن. وهو الأديب المطبوع وحظي بموهبة عظيمة لم يعط لكثير من الكتاب. وأعماله خالصة من الصنعة، لأن الصنعة لا تخلق أديبا مبتكرا، ولا أديبا ممتازا، ولا طريقة مستقلة، وفي داخل عباراته تجد جمال آثاره، وروعة حسنه، ورنه الطرب به.

وليس هناك ولو أدنى شك على أن المنفلوطي طلع كاتبنا صادقا في خلقه وصياغته الأدبية، وكلما يذكره من منبعه الأصلي النقي الصافي، وخير شاهد عليه ما يذكر عنه المنفلوطي: "كان أغزل الغزل عندي غزل العاشقين، وفضل الرثاء رثاء الثاكلين، وأنبل المدح مدح الشاكرين، وأشرف العظات عظات المخلصين، وأجمل البكاء بكاء المنكوبين، وأحسن الهجاء هجاء الصادقين، وأبرع الوصف وصف الرائيين المشاهدين<sup>1</sup>. وهنا لو درسنا ما يصف عنه ويشبهه حسن زيات بقطعة موسيقية في ظاهره وباطنه، فهو مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الذكر، منسق الأسلوب، منسجم الزي، لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقرية، ولا نشوز الندامة، كان صحيح الفهم في بظاً، سليم الفكر في جهد، دقيق الحس في سكون، هبوب اللسان في تحفظ، وهذه الخلال تظهر

---

1. العبرات، ص: ٢٠.

صاحبها للناس في مظهر الغبي الجاهل، فهو لذلك كان يتقي المجالس، ويتجنب الجدل، ويكره الخطابة، ثم هو إلى ذلك رقيق القلب، أعف الضمير، سليم الصدر، صحيح العقيدة، نقاح اليد، موزع العقل والفضل والعوى بين أسرته ووطنه وإنسانيته<sup>2</sup>.

### ب. الاطار النظري

يرى الباحثون أن الترجمة عمل حربي آلي، وكذلك أن الترجمة من أمانة المترجمين. ويعتبر مصطفى لطفي المنفلوطي مترجماً قديراً، وأديباً بارعاً، قد ركز على ترجمة كتاب الشاعر بالخصائص الفنية بأسلوب عاطفي، وانفعالي، وشعوري، وتمثيلي عال. والترجمة من تقنيات الاستفادة من حضارة للأخرى، وهي تمكن الحضارات من تبادل الخبرات والتجارب، وهي جسر مقرب بين المجتمعات، وتواصل متعال على الموانع اللغوية. وعندما تتضاءل عملية الترجمة في أمة من الأمم كان ذلك بداية لتأخرها، وقلة طموحها. وإن النهضة كلها بدأت وتواصلت بفصل حركات ترجمة، وخير شاهد عليه دار الحكمة التي قامت بالترجمة في العصر العباسي، وهي من الوسيلة المهمة لازدهار العلوم والفنون والثقافة في الدولة العباسية. وهو أمر هام في التلاقح بين الشعوب والثقافات والمجتمعات، وأهم وسيلة لتعلم الحضارة الأجنبية، ويهدف الترجمة إلى الفاعلية الفكرية، والعلمية، والثقافية.

ولو ذكرنا ملخصاً أن الترجمة جزء لا يتجزأ من التنمية عامة بتوسطها بين التنمية الذاتية التي تثري الهوية بإبداع الغير، مع حمايتها من التلقي الانفعالي بفضل الوساطة الحامية. ويذكر السيد الفتحي المسكيني: فإن مصير الترجمة إلى العربية ليس مشكلاً شخصياً لهذا المترجم أو ذاك، بل هو جزء من تحول روحي، وأخلاقي عميق تعيشه شعوب معينة في فترة معينة، وفي ظل نوع معين من فكرة الدولة، فلم يعد المطلوب هو سد الفجوة، بل تغيير الأفق<sup>3</sup>.

2. العبرات والنظرات، ص: ٦

3. جريدة العرب الصادرة في ٢٠٢٠/٨/١١

## ج. البحث

كان المنفلوطي مطبوعاً ومولعاً بالأدب، فدرس بنفسه أمهات كتب الأدب العربي، وواظب على حفظ الأشعار العربية، وقرضها. وأنشأ الرسائل وأظهر للعالم العلمي والعربي مهارته العلمية حتى يقبله مجتمعه عالماً ومفكراً وأديباً إسلامياً. وانضم بحلقة الشيخ محمد عبده، وشارك في محاضراته واستفاد منه كثيراً.

واهتم بقراءة "العقد الفريد" و "الأغاني" و "زهر الآداب" و "دواوين المتنبي" و "البحراني" و "الشريف الرضي" و "ابن الرومي"، و "أبي العلاء"، وقرأ كتب عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والجاحظ، وابن خلدون، وبيع الزمان الهمداني، وابن الأثير، كما قرأ كتب النقاد كالأمدي، والباقلاني، وعباس، وغيرهم.

وبدأ يكتب لصحيفة "المؤيد" ثم عاد إلى القاهرة وكانت علاقته بسعد زغلول باشا شديدة، فرفعه سعد زغلول إلى مناصب الحكومة، وعمل محرراً عربياً لوزارته، رغم مناصبه العالية لم يهجر عن نشاطاته العلمية والدعوية فتابع بأعمال الكتابة في الصحف، لتحرير مصر وعودتها إلى تراثها القديم العريق.

وترك المنفلوطي للعالم العربي الأدبي آثاراً كثيرة، وهي كتب قيمة بأسلوب رائع يقرب كل قارئ أن يقرأه بشوق ورغبة شديدة، وهي كما يلي: النظرات، وهي على ثلاثة أجزاء، والعبرات مجموعة قصص، والفضيلة، أو بول وفرجين، في سبيل التاج، ومجد ولين أو تحت ظلال الزيرفون، والكتاب الذي نحن به الآن -الشاعر أو سيرانودي برجراك، وللمنفلوطي شعر قليل، وكذلك ألف لطلاب المدارس وجمع معلومات على "مختارات المنفلوطي". ويحتجني أن أقول أن المنفلوطي متمثل سينمائي ومسرحي جذاب يؤدي دوره بقلمه الدفاق المتحدث المصلح: ويضرب المثل الموافق على قوله أحياناً، على سبيل المثال: يصدق المثل القائل " بطنه الغني انتقام لجوع الفقير" ويشرح هذا المثل واقعياً بقلمه الفيض " مررت ليلة أمس برجل بائس فرأيتُه واضعاً يده على بطنه كأنما يشكو ألماً. فرثيت لحاله وسألته ما باله؟ فشكا إلي الجوع، ففتأته عنه ببعض ما قدرت عليه، ثم تركته وذهبت إلي زيارة صديق لي من أرباب الثراء والنعمة، فأدهشني أنني رأيتُه واضعاً يده على بطنه، وإنه يشكو من الألم ما يشكو ما يشكو ذلك

البائس الفقير، فسألته عما به فشكا إلى البطنة، فقلت: يا للعجب، لو أعطى ذلك الغني ذلك الفقير ما فضل من الطعام ما شكا واحد منهما سقما ولا ألما. لقد كان جديرا به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته، ويطنفئ غلته، ولكنه كان محبا لنفسه، مغاليا بها، فضم إلى مائدته ما اختلسه من صحفة الفقير فعاقبه الله على قسوته بالبطنة، حتى لا يهنئ للظالم ظلمه ولا يطيب عيشه.<sup>4</sup>

وحاول المنفلوطي بقلمه أن يشفي الأمراض الاجتماعية ويصلحها ويهدب المجتمع بإصلاح أخلاقهم، وطهرهم بمكتوباته من الأخلاق السيئة، والعادات الفاسدة، وصور البؤس والشقاء والاستغلال تصويرا حارا حتى يتعد عنها المسلم المعتدل، وذكر الانتحار، وسوء تصرف المترفين، واهتم بشئون البلاد، كما استمر أدباء الإسلام على مر العصور دعاة هدأة وحنودا حماة، يرفعون صوتهم بالدعوة إلى الله، ويشيرون بقلمهم إلى أعداء الإسلام والمسلمين، ودافع عن قضايا المسلمين والأمة الإسلامية في جرأة نادرة، وقد توجه المنفلوطي في حياته إلى ثلاث جهات وعالجها بدقة وإمعان النظر العميق. ويبلغ ما كتبه المنفلوطي من البراعة وهو يسكب في هذه الصورة عصارة مهارته، وخلاصة تجاربه الناضج، وقوة لسانه ومنطقه، ونصاعة تعبيره. ويكتشف الباحث في هذه المقالة عن إبداع الأستاذ المنفلوطي في ترجمته في كتاب "الشاعر".

#### نشأته وحياته

ولد مصطفى لطفى المنفلوطي سنة ١٨٧٦م في بلدة منفلوط بمصر لأسرة مرموقة ومعروفة بالشرف والحسب، والتدين، والفقهاء. وحفظ المنفلوطي القرآن الكريم كعادة أقرانه من أبناء القرية، وانتقل من القرية إلى القاهرة ودخل الأزهر الشريف وقضى هناك عشر سنوات، ودرس جميع المواد التي ألقيت في الأزهر الشريف، وكان مطبوعا مولعا بالأدب، فدرس بنفسه أمهات كتب الأدب العربي، واشتغل بحفظ الأشعار العربية، ويقرض الأشعار، وينشئ الرسائل، وانضم بحلقة الشيخ محمد عبده، وشارك في محاضراته لكتاب دلائل الإعجاز، وأسرار

<sup>4</sup>.. النظرات للمنفلوطي، ص: ٦٩

البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، واستفاد منه كثيرا. واهتم بقراءة "العقد الفريد" و "الأغاني" و "زهر الآداب" ودواوين المتنبي و "البحراني" و "الشريف الرضي" و "ابن الرومي"، و "أبي العلاء"، وقرأ كتب عبد الحميد، وابن المقفع، والجاحظ، وابن خلدون، وبديع الزمان الهمداني، وابن الأثير، كما قرأ كتب النقاد كالأمدى، والباقلاني، وعباس، وغيرهم.

وبعد وفاة الشيخ محمد عبده عاد إلى منفوط، ومكث بها سنتين، وهو يكتب لصحيفة "المؤيد" ثم عاد إلى القاهرة، وكان ممن اعتكفوا بسعد زغلول باشا، فرفعه سعد زغلول إلى مناصب الحكومة، وعندما تولى وزارة المعارف عين محررا عربيا لوزارته، ولما انتقل إلى وزارة العدل نقله معه وولاه فيها مثل هذا المنصب، بعد خروجه من الوزارة تابع بأعمال الكتابة في الصحف، وعند خروجه من الوزارة تابع بأعمال الكتابة في الصحف، وعند قيام البرلمان سنة ١٩٢٣م عينه سعد زغلول كعادته رئيسا لفرقة كتاب مجلس الشيوخ، وظل في هذا المنصب حتى وافاه الأجل.

وكانت مصر ذلك الوقت على حاكمية الخديوي إسماعيل، واستعمل هذه الفرصة الفرنسيون والإنجليز ودخلوا فيها واهتموا بشئون البلاد، وأراد الخديوي إسماعيل أن يجعل مصر جزءا أوربيا، ويريد أن يشهر المدينة الغربية، ورغم اهتمامه بتطور البلاد كتنمية مرافق الزراعة، والقيام بتطور أمور التعليم، وإصلاحات قضائية، وإتمام مشروع قناة السويس، وكان رئيسا مستبدا لن يسمح العادلون والمثقفون ومن يحب الإنسانية.

واستمر أدباء الإسلام على مر العصور دعاة هداة وجنودا حماة، يرفعون صوتهم بالدعوة إلى الله، ويشيرون بقلمهم إلى أعداء الإسلام والمسلمين، ودافع عن قضايا المسلمين، والأمة الإسلامية في جرأة نادرة، وقد توجه المنفلوطي في حياته إلى ثلاث جهات وواجهها بدقة، وإمعان النظر العميق. ويبلغ ما كتبه المنفلوطي من البراعة إلى حد أن خطأ هناك وخطأ هناك في الصورة يبرز الملامح، ويصور السمات، ويدع هذه الشخصية تنتفض حية، معروفة لدينا كما لو كنا صحبناها أمدا طويلا. وهو يسكب في هذه الصورة عصارة مهارته، وخلاصة تجاربه

الناضح، وقوة لسانه ومنطقه، ونصاعة تعبيره.<sup>5</sup> وقد كان سببا لتطور عقلية المنفلوطي عصره الذي عاش فيه، وما واجهه من الحكام والأمراء المتأثرين بأفكار الغرب، فإذا درسنا عما واجهه يؤدينا أن نقسم حياته كما يلي:

#### الأول: الواقع السياسي

في أيام المنفلوطي الأولى كان الوضع السياسي سيئا جدا، لأن الخديوي إسماعيل كان مغرما ومولعا بتشهير عادات الغرب بين المجتمع المصري، وحاول أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، وأجاز لتدخل الفرنسيين والإنجليز في شؤون المصريين، وافتخر بالمدينة الغربية، رغم تمنياته في تعمير البلاد وترقيته، لم يحرم من التملق للغرب وأفكارهم ومكرهم للإسلام والمسلمين. وسيطر على مصر غريب البلاد واللسان، وازداد نفوذ الأجانب، وتدخلهم في أمور مصر، وعين لكل أمر من الأمور الأجانب، وبدأ أن يخرق النظام والعادات واستهانوا أبناء مصر، واندفع الوطنيون وزعماء الإصلاح إلى التنديد، والضغط، والقهر، والسكوت. وساءت الأحوال، وترأست الفوضى، وعم الفساد في الإدارة، وكان الرؤساء مسيطرين على العوام وجعلوهم عبادا، ورأى المثقفون ما فيها من الخطر للبلاد والمتوطنين. وبدأت أن يقود الجيش بقيادة عرابي باشا ثورة عامرة، وانتهت الثورة بهزيمة عرابي باشا في معركة، وغربي معها آراء وآمال. واحتل الإنجليز مصر في عام ١٨٨٢ م.

وبقنصلي بريطاني فعلي وكانت مصر تسيطر مع كون الخديوي إسماعيل حاكما ظلليا وظاهرا إلى عشرين سنة. وكانت المقاومة الوطنية تنمو وتتنظم في أحزاب، إلى أن عرفت على شكل حزبين، أحدهما الحزب الوطني الذي كان قائما لسنوات، يقودها مصطفى كامل، وحزب الأمة الذي أنشأه أتباع الإمام محمد عبده. ومن الأمور المؤسفة أن المصريين تفرقوا وخالفوا ما ذكر القرآن: واعتصموا بحبل الله جميعا فلا تفرقوا" وصاروا شيعا وأحزابا، وظل بأسهم بينهم شديدا، وصاروا أعداء بينهم ورحماء على الأعداء، وانقلبت الأمور الخاصة وأحوالهم الشخصية

<sup>5</sup>. اقرأ للمزيد عن ترجمة الأستاذ المنفلوطي في كتاب أعلام الأدب العربي للأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي، وتاريخ الأدب

عقبا على قدم، فأصبحت البلاد لا تدري ماذا تريد، ولما يراد لها، ولا تجدمن يرد لها إليها رشدها، ولا من يمد يده إليها، كثر رؤساءها، وتعددت قاداتها، وتنوعت مذاهبها، واختلفت طرقهم، واستحكمت حلقات البأس بينهم فلم يتفقوا في شأن من شؤون هذه الأمة على شيء إلا على وضع حبل متين في عنقها قد أخذ كل منهم بطرف من طرفيه يجذبه إليه جذبة المستقتل المستमित حتى بح صوتها، وضاق صدرها، وهم ينظرون إليها نظرة المداعب اللاعب، ولا أحسب أنهم تاركوها حتى يفرقوا بين الرأس والجسد فراقا لا لقاء بينهما من بعده<sup>6</sup>. وكان المنفلوطي سياسيا من أتباع الشيخ الإمام محمد عبده، ومن ثم من مؤيدي سعد زغلول باشا في تاريخ مصر.

#### الثاني: الواقع الاجتماعي

إثر الحرب العالمية الأولى بدأت أن تدخل العضلات الاجتماعية، ونهضت الصحف والمثقفون أن ينشطوا بأرائهم القوية المثيرة، وأرادوا أن يطلقوا كلمة القديم لكل ما هضمناه وفهمناه من تراثنا الموروث من ديننا وتقاليدنا النيرة، وبجديد الأفكار التي استوردها المصريون الذين قاموا ببعثات تعليمية إلى أوروبا، وبعد الحرب ضد من حاولوا لتغيير مصر قطعة لأوروبا من طرف الحاكمين في واد ومن الدارسين في بريطانيا أخرى، فاتخذ كل من الطرفين أشد الكلمات لمهاجمة الفريقين، واجتمع الناس كلهم كتابا وقراء في هذا الموقع.

ولم ينج واقع مصر الاجتماعي، في عصر المنفلوطي، من أصحاب البدع، ومدعي العلم، الذين ألصقوا بالدين كثيرا من الزيف والتضليل، مما أساء إلى ذوي العقول العفوية، فلما هب المصلحون والمفكرون إلى تحرير بلادهم كان هم أكثر الإصلاح الديني، الذي ينقي النفوس مما علق بها من الوهم والخرافات التي زادت الجهل تعقيدا، من غير أن يغيب عن بال المحافظين منهم، كالمنفلوطي، أن التقاليد الإسلامية من حيث وصفها قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد أخذت تفقد مكانتها شيئا فشيئا في خضم ذلك التحول الذي يعيشه المجتمع المصري. لكن ذلك كان لب المشكلة التي كان يعاني منها المنفلوطي وآخرون محافظون مثله، وهو ما بدا جليا في دفاع كاتبنا عن

<sup>6</sup>. النظرات، ج ١، ص: ٢٧٨

الدين وأخلاقه، وهو ما وسمه عند البعض، بالتعصب للإسلام.<sup>7</sup>

الثالث: الواقع الثقافي

في أيام حياة المنفلوطي قد واجه ملوكا ورؤساء مختلفين ومتباعدين عن فكرته، وكان نفوذ خلافة العثمانية في طرف، وسيطرة الحكومة الخديوية آخر، ومطامع الأوربيين في ناحية، واحتلال الانجليز المباشر في أخرى. وهذه التيارات فتحت أفكار المفكرين المسلمين. منذ بداية عصر الاحتلال حتى ثورة ١٩١٩ صراعا قد بدأ يدور حول فكرتين رئيسيتين: الأولى تشبث بالتراث العربي القديم وتريد أن تجعل منه نقطة الانطلاق نحو أي إصلاح، وهي بذلك تضع الماضي قبل الحاضر. والثانية تريد أن تنظر إلى الحاضر قبل أن تتجه إلى الماضي وهي لا تجد لها نموذجا للإصلاح والحالة هذه إلا في الحضارة الأوروبية المتفوقة. وإذا كان الصراع بين هاتين الفكرتين، فقد كان هناك المتطرفون في كل اتجاه من التقليديين الذين ما زالوا يستسلمون استسلاما كاملا للقديم لا يرضون به بديلا بصرف النظر عن طبيعة الواقع الجديد وتطوراته وحاجاته، إلى المندفعين الذين يندفعون اندفاعا حماسيا أعمى لنقل أفكار الحضارة الغربية وقيمها مع إغفال تام للواقع الحضاري لبيئتهم، ولم يخل الأمر من الذين يحاولون التوفيق بين الأطراف المتنازعة بإثبات أن الحضارة العربية الإسلامية قد احتوت داخل إطارها كل ما قدمته الحضارة الغربية وما يمكن أن تقدمه، وإذن فلا مجال برأي هؤلاء للخلاف والمعارك.

إبداع أدبي في ترجمة كتاب الشاعر أو سيرانو دي برجراك

التراجم فن من الفنون، وهو من الطاقة الشعورية، يؤديها الأديب بشامل الموضوع، مع القيم الفنية التي يضمنها التعبير. يشمل التراجم على العنصرين الأساسيين للعمل الأدبي، التجربة الشعورية، والعبارة الموحية عن هذه التجربة، لأن إحساس المؤلف بحياة من يترجم له، وبظروفه وحالاته النفسية، وتطبيقها على تجاربه هو في عالم

<sup>7</sup>. الشاعر، ص: ١٢

الشعور والحياة، وعلى التجارب الإنسانية التي خبرها بنفسه أو في قراءته، ومحاولة استنفاد الملابس التي أحاطت بحياة بطله وذهبت في تيه الوجود، واستحضارها في الذهن والشعور من حياة البطل لحظة ف لحظة. كل هذا يجعل عنصر التجربة الشعورية ذا وجود حقيقي في ترجمة الشخصية. أما القيم التعبيرية فهي بطبيعتها ستوجد بوجود التجربة الشعورية على هذا النحو من القوة والوضوح. فإذا خلت الترجمة من هذين العنصرين، أو من أحدهما، استحالت سيرة أو تاريخاً بعيداً عن عالم الأدب.<sup>8</sup>

حاول المنفلوطي بأسمى عناية حتى يقنع القارئ ويجرضه لقراءته مرات وكرات بصياغته الجميلة الممتعة لهذه الرواية. لأنه يصور تصويراً كاملاً وتاماً فيما يجبه، وهو الحب الشعري الذي ينفجر بالمشاعر السامية، فيعبر المنفلوطي بعبارات متينة السبك، رقيقة التعبير، دقيقة الأداء، عالية التأثير، روعة الأسلوب، واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، جارية على القياس الصربي، بينة في معناها، مفهومة تامة، وعذبة سلسلة وما إلى غير ذلك مما يشمل للأديب الكامل المثالي. وأتى المنفلوطي بجميع ما يعم من نعوت الجودة، وصفات الجمال، وحسن الكلمات وسلاستها. وهذه الرواية كما صاغها المنفلوطي تصور التضحية تصويراً بديعاً، والأمر المهم في هذه الرواية أن مؤلفها شاعر، وبطلها شاعر، وأكثر أشخاصها شعراء، وموضوعها الشعر والأدب، وأن النفس الشعرية هي أجمل شيء في العالم وأبدع صورة رسمتها ريشة المصور الأعظم في لوح الكائنات، وأنها هي التي يهيم بها الهائمون، ويتوله المتولهون، حين يظنون أنهم يعشقون الصور ويستهيمون بحاسن الوجوه.<sup>9</sup>

وفي هذا ما قدمه المنفلوطي أجمل شيء وأبدع صورة رسمه المنفلوطي في لوح الكائنات، وقدم الدكتور عبد السلام الجندي على هذه الرواية التي عربها عن اللغة الفرنسية حرفياً، وحافظ فيه على الأصل محافظة دقيقة،

<sup>8</sup>. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، لسيد قطب، ص: ٩٠

<sup>9</sup>. الشاعر، ص: ٢٤٤

وطلب من الأستاذ المنفلوطي أن يهذب عبارتها، وقرأ الرواية بدقة، واستشف أغراضها ومغازيها التي أراد المؤلف وصورها تصويراً بديعاً من قالب التمثيلي إلى قالب القصصي ليراه القارئ على صفحات الكتاب كما يستطيع المشاهد أن يراها على مسرح التمثيل. ويتناول الكتاب في خمسة فصول، ويشمل الفصل الأول موضوعات آتية، وهي: حانة بوجونيا، وطاهي الشعراء، وسيرانو، وروكسان، والبطل، والأنفيات، والمبارزة الشعرية، وسريرة سيرانو، وباب نيل. وفي الفصل الثاني يتكلم: عن موضوع "المتشاعرون"، ودواوين الشعراء، والموعود، وبؤس الأدباء، واللقاء، ونفس الشاعر، والمعركة النفسية. ويشمل الفصل الثالث بموضوع حرفة الأدب ودهاء المرأة، والشرفة، والبلاغة، والقبلة، وسياحة في القمر، ويتحدث في الفصل الرابع عن الميدان، والوطن، والدمعة، وجواز المرور، والوليمة، وحقيقة الجمال، والمكاشفة، والفاجعة، والمعركة. ويتحدث في الفصل الخامس عن بعد خمسة عشر عاماً، والنغمة، وسيرانودي برجراك أو الشاعر.

ويصور كل فصل قضية اجتماعية وسياسية في الأدب القصصي وأدب المقالة. وقد اتسم المنفلوطي في عمله القصصي عموماً بالإغراق في العاطفية المسرفة، وهو إغراق يتجه إما إلى تصوير الحب العذري الطاهر الذي يبلغ في طهارته درجة كبيرة قد تفوق في إسرافها صور الحب العذري التقليدية عند العرب، أو يغرق في الحديث عن الإحساس الوطني، أو عن الضعفاء والبائسين والفقراء وخاصة النساء والأطفال. وتبقى مترجماته، على الرغم مما أصابها على يديه، محتفظة بالمفاجأة والعقد والتحليل، وهو ما يجعلها أكثر تشويقاً وجاذبية من قصصه الموسوعة، وأنجح وأبقى أدبياً.<sup>10</sup>

أما سيرانو دي برجراك فهو شاعر فرنسي من شعراء القرن السابع عشر، ونشأ غريباً وصاحب أخلاق فاضلة ومنفرداً بصفات قل أن تجتمع لكثير من معاصريه، وكان جامعاً بين الشجاعة إلى درجة التهور، والخجل إلى درجة الضعف، وبين القسوة إلى معاقبة أعدائه على أصغر الهفوات، والرقّة إلى البكاء على بؤس البائسين من أصدقائه

<sup>10</sup>. الشار للمنفلوطي، ص: ٢٤

وأبناء حرفته. وكان كريما متلافا لا يبقي على شيء مما في يده، وعفيفا لا يمد يده إلى مخلوق كائنا من كان، وصريحا لا يتردد لحظة واحدة في مجابهة صاحب العيب بعبه كيفما كان شأنه وكيفما كانت النتيجة المرتبة على ذلك، فكان عدو الكاذبين والمرائين والسفلة والمتملقين. وكان الخلق الغالب عليه من بين جميع أخلاقه خلق العزة والأنفة، فكان شديد الاحتفاظ بكرامته والضم بعرضه أن ينال منهما نائل أو يعبت بهما عابث، وكان لا يرى في أكثر أوقاته إلا مبارزا أو مناظلا أو نائرا أو مهتاجا أو واضعا يده على مقبض سيفه أو ملقيا قفازه على وجه خصمه شأن الفوارس الأطفال في ذلك العصر. وكانت بليته العظمى في حياته ومنبع شقائه وبلائه أنه كان دميم الوجه، كبير الأنف جدا إلى درجة تلفت النظر وتسترهب الدهشة، وكان يعلم ذلك من نفسه حق العلم ويتألم بسببه تألما كثيرا لأنه كان عاشقا لابنة عمه "روكسان" الشهيرة بجمالها النادر وذكائها الخارق، وكان يعتقد أن المرأة مهما سمت أخلاقها وجلت صفاتها لا يمكن أن تقع في أحبولة غرامية غير أحبولة الجمال، ولا تغني بحسن غير حسن الوجوه والصور، فكان هو أشجع الناس وأجرؤهم وأعظمهم مخاطرة وإقداما لا يجسر أن يفتح حبيته هذه في شأن حبه حياء من نفسه وخجلا. فكان أنفه الكبير الضخم سبب شقائه من جهتين، أنه وقف عقبة بينه وبين غرامه، وأنه كان المنقذ العظيم الذي ينحدر منه أعداؤه وخصومه إلى السخرية به والتهمك عليه، وهو لا يطيق ذلك ولا يحتمله، فكان النزاع بينه وبينهم دائما لا ينقطع، وكان لا ينتهي غالبا إلا بمباراة يخرج منها في الغالب منتصرا ولكن كثير الخصوم والأعداء.

وكان جنديا في فصيلة "شبان الحرس" من الجيش الفرنسي. وكان من أسوأ الشعراء حظا في حياته، فقد قضى عمره كله خاملا مغمورا. ولقد أخلص في حبه لابنة عمه "روكسان" إخلاصا لم يسمع بمقله في تاريخ الحب، فأحبها وهي لا تعلم بحبه، وتألم في سبيل ذلك الحب ألما شديدا وهي لا تشعر بألمه. وأحبت غيره، فلم يحقد ولم ينتقم، بل كان أكبر عون لها في غرامها الذي اختارته لنفسها، ولم يلبث أن اتخذ حبيبها الذي آثرته صديقا له وأخلص في مودته إخلاصا عظيما، وأعاناه على استمرار صلته بها وبقاء حبه في قلبها لأنه ما كان يهمه شيء في

العالم سوى أن يراها سعيدة في حياتها، مغتبطة بعيشها، وهذا كل حظه في الحياة. ولم يزل هذا شأنه طول حياته حتى خرج من دنياه، ولم تعلم "روكسان" بسريرة نفسه إلا في الساعة الأخيرة التي لا يغني عندها العلم شيئا. والشخصية الثانية هي "روكسان" وهي ابنة عم سيرانو دي برجرانك. وهي فتاة جميلة، شريفة، متعلمة، وافرة الذكاء، مولعة بالشعر والأدب، وبالأحاديث المنمقة. وكانت بفضل ما ورثته من مال عن أبويها غنية تعيش عيشا رغدا هنيئا. فأحبها كثير من النبلاء والأشراف وعرضوا عليها الزواج، فلم تحفل بهم. وأحبها "الكونت دي جيش" وهو أحد قواد الجيش الفرنسي، وكان متزوجا بابنة أخت الكاردينال دي ريشلييه، فأراد أن يستخدم نفوذه وجاهه في حملها على الزواج من فتى من أشياعه اسمه الفيكونت فالفير على الطريقة المعروفة في ذلك العهد عند الملوك والنبلاء، فدفعته عنها برفق وحكمة خوفا على نفسها منه، وظلت تماطله زمنا طويلا حتى أحبها البارون كرستيان دي نوفيت، فأحبته وأخلصت له إخلاصا عظيما، ولم يكن في الحقيقة متصفا بصفات الفطنة والذكاء والنبوغ التي كانت تظنها مجتمعة فيه لولا الحيلة الغريبة التي احتالها عليها سيراني حتى أوهمها ذلك. وهنا حبكة الرواية، ومغزاها. ثم تزوجت من ذلك البارون، بعد ذلك زواجا سريرا، ولكنها لم تكد تضع شفتها على الكأس حتى انتزعت منها، وكان هذا آخر عهدها بسعادة الحياة وهنائها.

وتتمثل حبكة الرواية بالدور الذي قام به سيرانو، وهو دور الملقن. فقد أخذ يعلم البارون كرستيان ما يجب قوله لحبيته روكسان. وسبب ذلك هيام روكسان بجمال البارون، ثم هيامها بكلامه الشعري، وغزله الرائع. ولم تكن تدري أن روح سيرانو قد حلت بشخص كرستيان. وأن هذا الأخير لم يكن ينطق إلا بلسان سيرانو الشاعر.

لقد أرضى هذا الدور روكسان، لأنها مولعة بسماع عذب الكلام، وأرضى ذلك أيضا كرستيان الذي نفذ إلى قلب بحلاوة قول سيرانو. أما سيرانو فقد رضي بدوره بما فعل، لأنه كان يناجي حبيته روكسان عبر كرستيان، وكان يرى به فرصة، يستطيع أن يعبر فيها عن مكنون فؤاده، وعن هيامه بابنة عمه. فلقد اجتمع في كرستيان الجمال الحسي في شخصه، وجمال الروح في ما لقنه من سيرانو. ولم تعلم روكسان بهذا السر إلا قبيل موت سيرانو، إذ راح

يقراً في عتمة الليل، وهو مغمض العينين، جريحا، كتاب كرستيان، الذي ظل دافئا منه في صدر رومان. وتذكر روكسان عظمة سيرانو، وأنه كان يحبها وأنه لم يفصح مخافة أن ترفض الزواج منه، وهو الديميم. تلك هي حبكة الرواية، التي تدور في معظمها حول سيرة الشاعر سيرانو دي برجراك، والتي تصور من خلاله الفداء الرومنسي، الذي لا يتحقق إلا في الرجال الكبار. تمكن الترجمة لها على هذا النحو، فتصور كائنات حية تنمو نمو عضويا، وتشب وتهرم وتشبخ، ويقع لها ما يقع للأحياء، وتتعاطف مع المون والحياة كما يتعاطف الأحياء.<sup>11</sup>

#### د. الخلاصة

يقال إن الألفاظ أصوات، ويصدق ترجمة الأستاذ مصطفى لظفي المنفلوطي هذا المعنى بعمله في ترجمة رواية الشاعر أو سيرانو ديبرجراك، ويستدرك القارئ معانيه بذوقه، وينطلق كتابه بكلمات على القياس الصحيح، وسهولتها وسلامتها عن الغرابة، والغموض في التأليف، والتعقيد اللفظي أو المعنوي، ويكثر على طول الكتاب سلامة التركيب.

وهذه الرواية كلمات سهلة وعذبة يسكن إليها السمع، وفيه لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ودقة في جميع المحاولات لهذا الجهد. ولا يخفى على القارئ أن هذا الكتاب يكون الذوق الفني، وينشط المواهب الفاترة، رغم كون مؤلف هذه الرواية الكاتب الفرنسي آدمون رومان، وهو يتحدث عن سيرة شاعر عاشق وبطل شجاع، وخلق المنفلوطي هذه الرواية من قالب التمثيلي إلى قالب القصصي، بأسلوب الشاعر وعواطفه المشعرة الجذابة ليتمتعها القارئ بصفحات. وجعلت عناية المنفلوطي هذه الرواية رواية حية يظهر بصياغته التي تفر بالمشاعر السامية، والأحاسيس الفياضة، التي تسلم بالألم، ويظهر في أسلوبه جمال آثاره، وروعة

. النقد الأدبي أصوله ومناهجه لسيد قطب، ص: ٩١ 11

حسنه، ورنه الطرب به، ويصور الأستاذ المنفلوطي الوقائع، والملاقاة، والمقابلات بين الحبيب والحبيبة، وبين الأبطال بالصورة الملائمة لها. وليس هناك ولو أدنى شك أن عمله الأدبي يختلب الأبصار ويثير الوجدان، ويتناول الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالاً بفحوى الموضوع، ويثير شعور القارئ بأقوى أثرا، وأروع جمالا، بمتينة السبك، ورفيقة التعبير، ودقيقة الأداء، وقوية التأثير، وغنية الأسلوب. وهذا كتاب يرشد إلى أن يقوي لسان كل طالب اللغة العربية وآدابها. وهو الأديب الموهوب بقدرته الترجمة الدقيقة كما وهب بملكة الإصلاح والإرشاد الاجتماعي والوعظ والوعد والوعيد لهذه الأمة كما يأمر باتباع الأوامر والاجتناب عن النواهي كما هو يذكر الفوائد والمقاصد الإسلامية بامثال الأوامر، والمساوي والضرائر بفعل المنكرات.

فوق كل ذلك، في هذه الترجمة للكاتب الفرنسي ادمون روستان وهذا من أروع مسرحيات المأساة الفرنسية قد نقلها إلى العربية وجعلها المنفلوطي من القالب التمثيلي إلى القالب القصصي ليسهل على القراءة من المشاهدة التمثيلية، وحافظ على روح الأصل في الترجمة، وهي تصور التضحية تصويرا بديعا.

ومن المشار أن مؤلفها شاعر، وبطلها شاعر، وأكثر أشخاصها شعراء، وموضوعها أيضا شعر وأدب، فأجل شيء وأبدع صورة رسمتها ريشة المصور الأعظم الأقدار في لوح الكائنات. وأبرز أشخاص الرواية سيرانو دي برجراك وهو شاعر فرنسي من شعراء القرن السابع عشر. وكان متلافا لا يبقى على شيء مما في يده، وعفيفا لا يمد يده إلى أحد لسد حاجته، وكان عدوا للكاذبين والمرائين والسفلة والمتملقين. إنه كان دميم الوجه كبير الأنف جدا إلى درجة تلفت النظر، وهو كان عاشقا لابنة عمه "روكسان" الشهيرة بجمالها النادر وذكائها الخارق، وكان هو أشجع الناس وأجرؤهم وأعظمهم مخاطرة وإقداما، وكان من أسوأ الشعراء حظا في حياته، فقد قضى عمره كله خاملا مغمورا، وأخلص حبه لابنة عمه روكسان إخلاصا لم يسمع بمثله في تاريخ الحب، فأحبها وهي لا تعلم بحبه، وتألم في سبيل ذلك الحب ألما شديدا وهي لا تشعر بألمه. ورحبت غيره، فلم يحقد ولم ينتقم، بل كان أكبر عون لها، وأخلص مودة حبيبها إخلاصا عظيما، وما كان يهمه شيء في العالم سوى أن يراها سعيدة في حياتها، ولم يزل هذا

شأنه طول حياته حتى خرج من دنياه، ولم تعلم روكسان بسريرة نفسه إلا في الساعة الأخيرة التي لا يغنى عنها العلم شيئاً.

وأحبها الكونت دي جيش، وهو أحد القواد، وكان متزوجاً وأراد أن يستخدم نفوذه في حملها على الزواج من فتى من أشياعه، فدفعته عنها برفق وحكمة خوفاً على نفسها منه، ثم تزوجت من ذلك البارون زواجاً سريراً، وأخذ يعلم روكسان ما يجب، لهيامها عليه، وكلامه الشعري، وغزله الرائع، وأخبرها بحلاوة قول سيرانو وهو راض عن إخباره، ولم تعلم رومسان بهذا السر إلا قبيل موت سيرانو، إذ راح يقرأ في عتمة الليل، وهو مغمض العينين، جريحاً، كتاب كرستيان، الذي ظل دافعا في صدر روكسان. وتذكر روكسان عظمة سيرانو وأمه لم يفصح مخافة أن ترفض الزواج منه. واعتنى المنفلوطي عناية كبيرة بصياغة هذه الرواية.

### المصادر والمراجع

البلعكي، منير، ١٩٧٤م، المورد، قاموس انكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت.

حسن، حسن جاد، دراسات في النقد الأدبي، المكتبة الندوية، دار العلوم، ندوة العلماء، لكتناؤ، الهند.

زراقت، عبد المجيد، ١٩٩١م، عشاق العرب، ط ٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ت. د. محمد خير أبو الوفاء، مصطفى قصاب، ١٩٩٧م، شرح المعلقات

السبع، ط ٢، دار إحياء العلوم، بيروت.

الزيات، أحمد حسن، ١٩٩٧م، تاريخ الأدب العربي، ط ٤، دار المعرفة، لبنان.

ضيف، شوقي، ١٩٩٩م، الحب العذري، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، لبنان.

فروخ، عمر، ١٩٨٤، تاريخ الأدب العربي، ط٥، ج٣، ٢، ١، دار العلم للملايين، بيروت.

قطب، سيد، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ١٩٩٣، ط٧، دار الشروق، القاهرة.

لوبون، غوستاف، تعريب عادل زعيتر، ٢٠١١م، حضارة العرب، دار العالم العربي، القاهرة.

المنفلوطي، مصطفى لطفى، ١٩٨٤م، مؤلفات مصطفى لطفى المنفلوطي الكاملة، دار الجيل، لبنان.

المنفلوطي، مصطفى لطفى، الشاعر، ٢٠٠١م، دار المنال، بيروت.

الندوي، محمد الرابع الحسني، ٢٠٠٦م، الغزل الأردني، ط١، لكتناؤ، الهند.

هونكه، زيغريد، تعريب فاروق بيضون، كمال دسوقي، مارون عيسى الخوري، شمس العرب، دار الآفاق الجديدة،

بيروت.